

قرأتُ لولدي محمد عليه أشياء من ذلك، فسمعها عليه. وحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عليه بجامع دمشق، صَلَّى الإمام عليه، وعلى المؤذن المعروف بديك العرش - مؤذّن بيت المقدس - في ساعةٍ واحدة؛ وكان هذا المؤذّن مسنّاً، وابتلي بمرضٍ طويل - رحمه الله - وقبره بمقابر الصّوفية.

ومما سمعه ابني محمد على ابن الشّيرازي المذكور «صحيح مسلم»، بسماعه من الحرّاني، عن أبي عبد الله الفَرّاوي، عن الفارسي، عن الجُلّودي، عن إبراهيم، عن مُسلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وست مئة

١٧٥

في خلافة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر، ومدينة دمشق يومئذٍ محاصرة.

ففي الثامن من محرّم ضويقت مضايقةً شديدة، وقد اجتمع عليها عساكرُ عظيمةٌ من المِصريين والخوارزمية وغيرهم. ففي تلك الليلة أُحرق قَصْر حَجّاج والشّاغور، واستولى الحريقُ على مساجد وخانات ودورٍ عظيمة، ومن ذلك مسجد جراح خارج باب الصّغير، وكان جامعاً تقامُ فيه الجُمُعات، ثم نُصِبَتْ على دمشق المجانيق، ورُميت به من بابيّ الجابية والصّغير، ونُصِبَتْ أيضاً مجانيق داخل البلد، وترامى الفریقان، وأمرَ بتخريب عمارة العُقيبة خارج باب الفراديس، وباب السّلامة، وباب الفَرَج^(١)، وأُحرق حكر السّماق خارج باب النّضر، واشتدّ الغلاء، وعظّم البلاء، وزادت أوقية البصل على نصفِ دِزهم، وبلغ التبن أن يُبَع وزناً كل أوقية بِقَرطاس، ثم أُحرقَت العُقيبة في أول ربيع الأول.

(١) وقد خرب كذلك حمام القصور والدور والإسطبل والخان التي كان يملكها العماد الكاتب؛ قال أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٤٢٩/٢: قد خربت هذه الأماكن في سنة ثلاث وأربعين وست مئة بسبب الحصار، واستمر خرابها، وعفت آثارها، وصارت طريقاً على حافة بردى، وأنت خارجٌ من جسر الصفي، خارج باب الفرج، ماراً إلى ناحية الميدان.

وفيها في يوم الجمعة الرَّابِعِ والعشرين من صَفَرِ توفِي صَاحِبِنَا المَحْدَثِ شرف الدِّينِ أحمد بن الجَوْهَرِيِّ^(١)، رحمه الله.

وكان فاضلاً، خَيْرًا، متواضعاً، متفضلاً، مفيداً، حريصاً على تحصيل المسموعات، رَحَلَ في طلب الحديث، وَسَمِعَ، وَحَصَّلَ الأصول، ثم توفي - رحمه الله - وَدُفِنَ بالجبل، صَلَّيْنَا عليه بجامع دمشق، وشيَعناه إلى داخل باب الفَرَجِ، ولم يمكن الخروج لوجود الحصار المذكور.

ثم^(٢) توفي بعده في سادس شهر ربيع الأول القوام الأضبهاني، وكان كاتباً، فاضلاً، شاعراً.

والمعين الأرموي، وكان شيخاً ظريفاً، معمراً، في ثامن ربيع الأول^(٣).

ثم توفي في ثالث عشر ربيع الأول المنتجب الهَمْدَانِي، المقرئ^(٤) بالمدرسة الزَّنْجِلِيَّة - رحمه الله - وكان مقرناً مجوداً، قرأ على الشَّيْخِ أَبِي الجودِ بمصر، والعلامة أَبِي اليُمْنِ الكِنْدِي، وانتفع بشيخنا أَبِي الحسن في معرفة قصيدة الشَّاطِبي، ثم تعاطى شرح القصيدة، فخاض بحراً عَجَزَ عن سباحته، وَجَحَدَ حقَّ تعليم شيخنا له وإفادته، والله يعفو عَنَّا وعنه^(٤).

حَضَرْتُ الصَّلَاةَ عليه بجامع دمشق، وشيَعْتُهُ إلى داخل باب الفَرَجِ، ولم يمكن من الخروج معه لأجل حصار البلد.

(١) هو شرف الدين أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نيهان الدمشقي، ابن الجوهرى، له ترجمة في طبقات علماء الحديث، ٢٤٤/٤ - ٢٤٥، سير أعلام النبلاء: ٢٦٤/٢٣، تذكرة الحفاظ: ١٤٥٩/٤، العبر للذهبي: ١٧٥/٥، الوافي بالوفيات: ١٦٧/٨، النجوم الزاهرة: ٣٥٤/٦، شذرات الذهب: ٢٢٧/٥.

(٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٢٣ - ٢٢٠، معرفة القراء الكبار: ١٢٦٥ - ١٢٦٦، العبر للذهبي: ١٨٠/٥، غاية النهاية: ٣١٠/٢ - ٣١١، بغية الوعاة: ٣٠٠/٢، شذرات الذهب: ٢٢٧/٥.

(٤) قال الذهبي: آذى السخاوي في شرح أول بيت من الشاطبية بعبارة نكدة.

ثم توفي في الثالث والعشرين منه الثَّاج عبدُ الجليل الأبهري الصُّوفي، وكان من أهل الحديث، ذو سماعاتٍ كثيرة، وبخطه طباقٌ جمَّة، ونسخٌ كثيراً من كُتُبِ الحديث والفِقه، أسمعْتُ عليه ابني محمداً، وله منه إجازة.

وفي ذلك اليوم مات الصُّفي؛ القارئ أمام الجنائز.

وقبلهما بيوم توفي النَّاصح سالم؛ قِيمَ دار الحديث الثُّورية، رحمهم الله.

ثم توفي الشيخ حسن الصُّقَلِي القَزَّاز، وكان من المشهورين بالصَّلاح، كلُّ ذلك في ربيع الأول.

وتوفي في ربيع الآخر سابع عَشْره الشيخُ الفقيه الصُّوفي كمالُ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن كَشَّاسب الدُّزْمَارِي^(١)، رحمه الله.

وكان شيخاً صالحاً، فقيهاً، مشهوراً، من أصحابنا الشافعيين، متضلِّعاً من نقل وجوه المذهب وفهم معانيه، وهو أحدُ مَنْ قرأتُ عليه المذهب في صباي، وكان كثير الحجِّ والخير، وقَفَ جميعَ كُتُبِه، وفيها مصنَّفاتٌ جليَّةٌ - تقبَّلَ الله منه - وهو الذي ذكره شيخنا أبو الحسن في خطبة تفسيره، وأثنى عليه، وكان يلازمُ حَلْقَةَ شيخنا وقتَ سماعِ التفسير، وفي أيام خَتَمَاتِ الطَّلَبَةِ، رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء السَّادس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشيخ الفقيه الإمام، مفتي الشَّام، تقي الدِّين، أبو عمرو عثمان بن الصَّلاح^(٢) - رحمه الله - ١٧٦

(١) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٢٩٩/٧، طبقات الشافعية للسبكي: ٣٠/٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ١٢٥/٢ - ١٢٦، كشف الظنون: ٤٩٠/١.

ودُّزْمَارِي: نسبة إلى دُزْمَار، وهي قلعة حصينة من نواحي أذربيجان قرب تبريز، وضبطها ياقوت بتشديد الزاي، «معجم البلدان»: ٤٥٤/٢.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، وفيات الأعيان: ٢٤٣/٣ - ٢٤٥، طبقات علماء الحديث: ٢١٤/٤ - ٢١٧، سير أعلام النبلاء: ١٤٠/٢٣ - ١٤٤، تذكرة الحفاظ: ١٤٣٠/٤ - ١٤٣٣، العبر للذهبي: ١٧٧/٥ - ١٧٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٣٢٦/٨ - ٣٣٦، طبقات الشافعية للإسنوي، ١٣٣/٢ - ١٣٤، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، =

بدار الحديث الأشرفية، وحُمِلَ على الأصابع إلى الجامع، فَصُلِّيَ عليه بعد صلاة الظُّهر، وكانت على جنازته هيئةٌ ووقار، وجمعٌ متوفر، ورقَّةٌ شديدة، وإخباتٌ وخشوع، ثم خُرِجَ به إلى باب الفَرَج، وَرَجَعَ النَّاسُ بسبب الحصار، وخُرِجَ معه نَفَرٌ دون العشرة إلى مقابر الصُّوفية، فدفن بها رحمه الله، و^(١) انضاف إليهم بعد ذلك جماعة^(١).

حضرتُ الصَّلَاة عليه بالجامع، وشيئتهُ إلى باب الفَرَج، ومنه استفدتُ عِنْمِي الحديثَ والفِقهَ صغيراً وكبيراً، وَسَمِعَ عليه ابني محمد جُمْلَةً من تصانيفه، ومعظم «السَّنَنِ الكبير» لليهقي، وغير ذلك.

وبعدَه بيومين توفي التقي أحمد بن العز محمد بن الحافظ عبد الغني، المقدسي^(٢) الحنبلي بجبل قاسيون.

وتوفي^(٣) قبله بنحو من شهر ابنُ عمه أبو سليمان عبد الرحمن بن عبد الغني^(٤)، وكانا من أئمة الحنابلة بدمشق وبالجبل، وكان أبو سليمان من الصَّالحين^(٥).

= النجوم الزاهرة: ٣٥٤/٦، الأنس الجليل: ١٠٤/٢ - ١٠٥، طبقات المفسرين للداودي: ٣٧٧/١ - ٣٧٨، شذرات الذهب: ٢٢١/٥ - ٢٢٢.

ومقدمته في علوم الحديث مشهورة بمقدمة ابن الصلاح، وقد ذاعت لها طبقات كثيرة.

(١ - ١) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥هـ) - وهو خطأ -، وسير أعلام النبلاء: ٢٣١/٢٣، العبر للذهبي: ١٧٤/٥ - ١٧٥، الوافي بالوفيات: ٥٥/٨، ذيل طبقات الحنابلة: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣، النجوم الزاهرة: ٣٥٤/٦ - ٣٥٥، المقصد الأرشد: ١٧٤/١، المنهج الأحمد: ٢٤٨/٤ - ٢٤٩، القلائد الجوهريّة: ٤٧٠/٢ - ٤٧١، شذرات الذهب: ٢١٧/٥.

(٣ - ٣) ما بينهما ليس في (ب).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، مشيخة ابن البخاري: ٤٤٢ - ٤٤٥، العبر للذهبي: ١٧٦/٥ - ١٧٧، الوافي بالوفيات: ١٥٩/١٨، ذيل طبقات الحنابلة: ٢٣١/٢ - ٢٣٢، المقصد الأرشد: ١٠٣/٢ - ١٠٤، المنهج الأحمد: ٢٤٧/٤ - ٢٤٨، القلائد الجوهريّة: ٤٧٧/٢، شذرات الذهب: ٢١٩/٥ - ٢٢٠.

وفي جمادى الأولى توفي شرف الدين بن قريش بدمشق، والقاضي الأشرف بن الفاضل^(١) بمصر، بينهما سبعة أيام.

وفي ثالث جمادى الأولى^(٢) توفي العز محمد بن تاج الأمناء أحمد بن محمد ابن عساكر^(٣)، وكان كبير بيته يومئذ، وله عناية بعلم التاريخ.

ومات في ذلك اليوم العز محمد بن الخيسي؛ شاب من المشتغلين بالعلم، المحصلين له، المجتهدين فيه، من أصحاب شيخنا أبي الحسن وأعزهم عليه - رحمه الله - شهدت الصلاة عليهما، وشيئتهما إلى داخل باب الفرج، وذهب به إلى الجبل، وبابن عساكر إلى مقبرة جدّه باب الصغير.

وفي خامسه يوم الجمعة توفي الشيخ المسند تاج الدين أبو الحسن محمد ابن أبي جعفر^(٤)، إمام الكلاسة، كان مسند وقته، ذو سماعات جمّة صحيحة، وأصول جليّة. وكان متواضعاً، خيراً، ديناً، رحمه الله.

سمعت عليه أنا وابني محمد كثيراً. سمع من عبد المنعم حفيد الفراوي، وأبي طاهر بركات الخشوعي^(٥)، وأبي الفرج الثقفى، والحافظ أبي محمد^(٦)،

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم بن علي، له ترجمة في وفيات الأعيان: ١٦٣/٣، سير أعلام النبلاء: ٢١١/٢٣، العبر للذهبي: ١٧٥/٥، الوافي بالوفيات: ٥٧/٧ - ٥٨، نزهة الأنام: ١٦٤، شذرات الذهب: ٢١٨/٥.

(٢) في (ك) و(ع) و(س): زيادة: لما فتح دمشق، وهي ليست من أبي شامة، لأنه سيذكر أن فتح دمشق كان في ثامن جمادى الأولى، وسيأتي في تنمة الخير أن أبا شامة لم يشيعه إلا إلى داخل باب الفرج، مما يدل على أن الحصار ما زال على دمشق.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢١٦/٢٣ - ٢١٧، العبر للذهبي: ١٧٩/٥، النجوم الزاهرة: ٣٥٥/٦، شذرات الذهب: ٢٢٦/٥.

وقد استفاد أبو شامة من كتاباته التاريخية في هذا المذيل.

(٤) له ترجمة في تكملة ابن الصّابوني: ٣٢، سير أعلام النبلاء: ٢١٧/٢٣ - ٢١٨، العبر للذهبي: ١٧٩/٥، الوافي بالوفيات: ١١٨/٢، النجوم الزاهرة: ٣٥٥/٦، شذرات الذهب: ٢٢٦/٥.

(٥) في النسخ الخطية: أبي البركات الخشوعي، وهو سبق قلم من أبي شامة، وقد سلفت ترجمة أبي طاهر ص ١١٥ من الجزء الأول.

(٦) هو عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، وقد سلفت ترجمته ص ١٥٣ من الجزء الأول.

وعبد الوهّاب بن سُكَيْنَةَ، وابن طَبْرَزْد، وحنبل، والقاضي أبي القاسم^(١)،
وأبي اليُمْن الكِنْدِي وغيرهم.

حضرت الصَّلَاة عليه بالجامع بعد صلاة الجُمعة، وشيَعَتْهُ إلى داخل باب
الفرج، وكانت له جِنَازَةٌ حَفْلَةٌ، وحُمِلَ على الأيدي، ودُفِنَ بجبل قاسيون عند
أبيه وأخيه.

وفي ثامنه تحقّق الصُّلْح، وزال الحَضْر عن البلد، ورحل ليلتئذٍ عن دمشق
سُلْطَانُهَا الصَّالِح إِسْمَاعِيل بن العادل أبي بكر بن أيوب، وصاحبُه المنصور
إبراهيم بن أسد الدِّين إلى بَغْلَبَكِّ وَجَمُص. ودخل البلد من الغد في تاسع الشهر
نائبُ صاحبِ بَصْر، وهو الصَّاحِب معين الدِّين حسن بن شيخ الشيوخ
صدر الدِّين، ونزل في دار سامة، وهي الدَّار المُعْظَمِيَّة النَّاصِرِيَّة، وزال الظُّلْم
عن البلد والمصادرات، والخوف والوَجَل، جَعَلَهُ اللهُ فتحاً مباركاً برحمته.

وفي يوم الجمعة - آخر جمعة في الشَّهر - توفي ولدي أبو الحرَم محمد -
جمعني الله وإياه في الجَنَّة - ودفنته عند أمه بمقبرة ابن زوزان المجاورة لمقبرة
الصُّوفِيَّة، على حافة الطَّرِيق إليها - رحمهما الله وإيانا - وأنا كنتُ قابله
وغاسِلَه، وبلغ من العمر ثمانين سنين ونصفاً، وسمِعَ من كُتُب الحديث وأجزائه،
ومن سائر العلوم شيئاً كثيراً على جُملة من المشايخ؛ نحو مئة وأربعين شيخاً.

ثم^(٢) توفيت أخته زينب بعده بأربعة أيام^(٣).

وفي ثالث جُمادى الآخرة توفي الشَّهاب محمد بن علي بن منصور اليميني،
المعروف بابن الحجّازي رحمه الله، وكان من فضلاء الشُّبَّان؛ هو وأبوه من

(١) هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ابن الحرستاني، وقد سلفت ترجمته
ص ٢٩١ من الجزء الأول.

(٢-٢) ما بينهما ليس في الأصل (ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

أصحاب شيخنا أبي الحسن المختصين به، ودُفِنَ بجبل قاسيون، ولم أشهده
لأنني كنتُ مريضاً^(١).

١٧٧

(١) قال إبراهيم عفا الله عنه: وقفت على ورقتين من مكتبة برلين برقم (١٠٣ = ٧٧٧٢) فيهما قصيدة نسبها بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» القسم الثالث: ص ٦٥ (الترجمة العربية) إلى أبي شامة، يشكو فيها بثه وحزنه إلى شيخه السخاوي، وقد ذكر أنها في أربعين بيتاً، غير أن ما وقع لي منها ثلاثة وعشرون بيتاً.
وقد نسب قطب الدين اليونيني في «ذيل مرآة الزمان»: ٢٩٣/٤ - ٢٩٧ القصيدة في آياتها الأربعين إلى الفقيه المالكي أبي بكر جمال الدين محمد بن أحمد الوائلي الشريشي، وقد كتبها للسخاوي سنة (٦٤٠هـ) وأورد رد السخاوي عليها في تسعة وعشرين بيتاً، وهذا هو الصحيح في نسبتها، وقد أحبت إثباتها هنا من ورقتي مكتبة برلين، وفاتنتي كلمات في ورقة سبقتها، إذ تبدأ بقوله:
«الآيات المبهرجة عند الامتحان، العاطلة من حلي الإجابة والإحسان، أشكو إليه فيها بثي وحزني، وما استولت عليه هذه النفس المدودة مني، وأسأله كيف خلاص أسيرها من وثاقه؟ وكيف السبيل إلى هربه من جورها وإطلاقه؟ وهي هذه الآيات:

| | |
|-------------------------------------|--|
| أيا عالماً في النفس ليس له مثْلُ | وطرّاً على الأخيار أضحي له الفُضْلُ |
| أيا علم الدين الذي ظلَّ علْمُهُ | بحوراً عذاباً منه يغترف الكُلُّ |
| لقد حزت من بين الأنام فضائلاً | فمنها الثَّقَى والعِلْمُ والخُلُقُ السَّهْلُ |
| وهُدَّيتْ هُدْيَ الصالحين ذوي الهدى | وصيئتُك في المعروف ليس له مثْلُ |
| تعلمُ دينَ الله ثمَّ كتابَهُ | على سننِ الماضين أهلِ الهدى قَبْلُ |
| نهارك تُقْرِئُه لمن جاء قارئاً | وليلك في التَّهْجيدِ أجمعِهِ تَنَلُّو |
| فأنساً ربي في حياتك إنها | حياةٌ لها نفعٌ عن الخير ما تَخَلُّو |
| وبعدُ فلأنسي سيدي لك ذاكرُ | أموراً تداعيني وعندي لها ثِقْلُ |
| ولا بُدُّ من شكوى إلى ذي بصيرةٍ | يريك سبيل الرُّشدِ إن جارت السُّبُلُ |
| فأضعُ إلى قولِي أبثُّ صبابتي | إليك وأحزاني فقد مضى الثُّكْلُ |
| أخي ما لقلبي قد قسا فكأنما | عليه لذي وعظٍ وتذكيرةٌ قُنْلُ |
| فلا هو للقرآن يخشع إن تلا | ولا للأحاديثِ أتتْنَا بها الرُّمْلُ |
| ولا يرعوي يوماً إلى وعظٍ واعظُ | ولا عاذلٍ ينهي وإن كَثُرَ العَدْلُ |
| تريد الذي لا أستطيع لحظها | وبعض الذي تبغيه أيسره القُتْلُ |
| تكلفني بذلي للناس مُهْجتي | وما عند حُرِّ بُذُلٍ مهجته سَهْلُ |
| فكيف خلاصي يا أخي من وثاقها | وهل لآسیرِ الثُّفْسِ من قَيْدِهَا حَلُّ |

=

وفيهما ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة توفي شيخنا عَلَمُ الدِّينِ أبو الحسن علي بن محمد السَّخَاوِي^(١) رحمه الله، علامة زمانه، وشيخُ عَضْرَه وأوانه، بمنزله بالثَّرْبَةِ الصَّالِحِيَّةِ، وُضِّلِي عليه بعد الظُّهْرِ بجامع دمشق، ثم خُرِجَ بجنازته في جَمْعٍ متوقِّفٍ إلى جبل قاسيون، فُدُونَ بترتبه التي في ناحية تربة بني صَضْرَى، خلف دار ابن الهادي^(٢).

= فوا أسفى لهفي لما طال بي لقد
فويلُ أبي بكر إذا لم يكن لدى
لقد خبئتُ إن لم يدركني بفضله
وها أنا مُشْهِدٌ فكن لي راشداً
فلا زلت تهدي للرشاد مريدهً
وأحياك ربُّ الخلق تحيي كتابه
فنحن إذا أحياك للدين ربنا

وَهَتْ قوتي وانسدت^(١) وجرى السَّيلُ
سريرته صدق لذي الله إذ يتلو
ورحمته ربُّ له اللَّطْفُ وَالْفَضْلُ
أبا حسنٍ فالرُّشْدُ أنتَ له أَهْلُ
على منهجِ عَدْلٍ فأنت الرِّضَا العَدْلُ
مدى الليل والأيام تُثْلِيه أو تتلو
بخير وُحْيَا ذلك الفَرْضُ وَالثَّقْلُ

فكتب إليّ - رحمه الله - على ضعفه وكبره مجيباً بهذه الأبيات التي حوت معاني راقية، ولفظاً عجباً، وهو يشكو ما شكوته، ويرجو من عفو ربه وغفرانه ما رجوته، فقال:

إلى الله أشكو ما شكوت من التي
تجور عن التحقيق جور أخي عمي
وكيف أرجي أن تتوب وللهوى
إلى غير مولاهما توجّه إلى الذي

لها عن هدى عَدْلٍ وليس لها عَدْلُ
وقد وَضَحَتْ منه لسالكها السُّبُلُ
عليها يدُ سلطانها ما له عَدْلُ
تريد وتخشى والخضوع له دُلُّ

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ١٩٦/٣، معجم الأدياء: ٦٥/١٥ - ٦٦، إنباه الرواة: ٣١١/٢ - ٣١٢، مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، وفيات الأعيان: ٣/٣٤٠ - ٣٤١، المختصر في أخبار البشر: ٣/١٧٤، إشارة التعمين: ٢٣١ - ٢٣٢، سير أعلام النبلاء: ٢٣/١٢٢ - ١٢٤، معرفة القراء الكبار: ٣/١٢٤٥ - ١٢٥١، العبر للذهبي: ٥/١٧٨، الوافي بالوفيات: ٢٢/٦٤ - ٦٦، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/٢٩٧ - ٢٩٨، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/٦٨ - ٦٩، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، نزهة الأنام: ١٦٥، غاية النهاية: ١/٥٦٨ - ٥٧١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: ٢/١٤٧ - ١٤٩، النجوم الزاهرة: ٦/٣٥٤، حسن المحاضرة: ١/٤١٢ - ٤١٣، بغية الوعاة: ٢/١٩٢ - ١٩٤، طبقات المفسرين للداودي: ١/٤٢٥ - ٤٢٨، شذرات الذهب: ٥/٢٢٢ - ٢٢٣، خزنة الأدب: ٦/٧٧.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن يحيى بن شجاع بن عياش، رشيد الدين، أبو الفضل الدمشقي =

(١) هكذا قرأتها بعد معاناة، ولا يتزن بها البيت

حضرتُ الصَّلَاة عليه مرَّتين: بالجامع، وخارج باب الفرج، وشيئته إلى سوق الغنم، ثم رَجَعْتُ لضعفِ كان بي من مرضٍ قريب العهد، وكان يوماً مطيراً، وفي الأرض وَحَلٌّ كثير. وكان على جنازته هَيْبَةٌ وجلالة، ورقَّةٌ وإخبات، وخُتِمَ بموته موثٌ مشايخ الشَّام يومئذ، وفَقَدَ النَّاسُ بموته عِلْماً كثيراً، ومنه استفدْتُ علوماً جَمَّةً؛ كالقراءات، والتفسير، وفنون العربية، وصَحْبُهُ من شعبان سنة أربع عشرة، وماتَ وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك، رحمه الله، وجَمَعَ بيننا وبينه في جَنَّتِهِ، آمين.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر جُمادى الآخرة توفي الشيخ الفقيه زين الدِّين يوسف بن إبراهيم بن يوسف الكردي، والشيخ أبو بكر المعروف بالمَرَاوحي^(١)، والعماد علي بن الحجة الحنفي، والصُّدْر إبراهيم بن اللهب، وغيرهم، وصلينا على الجميع جُمْلَةً بعد الظُّهر بالجامع، وشيئْتُ جِنَازَةَ الزَّيْن الكردي إلى نحو مقابر باب الصغير، رحمهم الله.

ثم توفي خطيبُ الجبل شَرَفُ الدِّين عبدُ الله^(٢) بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَّامة، والضِّيَاء محمد بن عبد الواحد^(٣). والضِّيَاء

= المحتسب، المعروف بابن الهادي، ترك الحسبة مدة، ثم وليها في دولة الناصر داود سنة (٦٢٥هـ)، ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٨١/٣، وذكر وفاته سنة (٦٣٧هـ)، وذكرها سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» في حوادث سنة (٦٤٥)، وهو الأشبه، وانظر ص ٨ من الجزء الثاني.

(١) هو أبو بكر بن أحمد بن عمر البغدادي الزاهد، إمام مسجد حارة الخاطب بدمشق، له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٢٢٣/١٠، الدارس: ٣١١/٢ (وفيه وفاته سنة ٧٤٣هـ)، وهو وهم.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥هـ) - وهو خطأ - العبر للذهبي: ١٧٦/٥، ذيل طبقات الحنابلة: ٤٣٤/٢ - ٤٣٥، المقصد الأرشد: ٥٤/٢، المنهج الأحمد: ٢٥٠/٤ - ٢٥١، القلائد الجوهريّة: ٤٧٨/٢ - ٤٧٩، شذرات الذهب: ٢١٨/٥ - ٢١٩.

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، ضياء الدين، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥هـ) - وهو خطأ - مشيخة ابن البخاري: ٤٤٥ - ٤٥٦، طبقات علماء الحديث: ١٨٨/٤ - ١٨٩، سير أعلام النبلاء: ١٢٦/٢٣ - ١٣٠، تذكرة الحفاظ: ١٤٠٥/٤ =

محاسن^(١)، والسيف أحمد بن عيسى بن شيخنا الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة^(٢)، وغيرهم من مشايخ الجبل^(٣).

وفي ليلة ثامن عشر شعبان توفي الفخر محمد بن عمر بن عبد الكريم الحميري، عُرفَ بابن المالكي^(٤)، الساكن بالمنارة الشرقية في بيت بني أبي جعفر، ودُفِنَ من الغد في مقبرة الصوفية، رحمه الله.

وفيها توفي النجم بن سلام^(٥)، وكان تولَّى ديوان دمشق بالقلعة بعد

= ١٤٠٦، العبر للذهبي: ١٧٩/٥ - ١٨٠، فوات الوفيات: ٤٢٦/٤ - ٤٢٧، الوافي بالوفيات: ٦٥/٤ - ٦٦، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢٣٦/٢ - ٢٤٠، نزهة الأنام: ١٦٥ - ١٦٦، النجوم الزاهرة: ٣٥٤/٦، المنهج الأحمد: ٢٥٢/٤، شذرات الذهب: ٢٢٤/٥ - ٢٢٦.

(١) هو محاسن بن عبد الملك بن علي، التنوخي الحموي الصالحي، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥) - وهو خطأ - سير أعلام النبلاء: ١٤٧/٢٣، الوافي بالوفيات: ١٥٠/٢٥، ذيل طبقات الحنابلة: ٢٣٤/٢، المقصد الأرشد: ٢٣/٣، الدارس: ٩٩/٢، المنهج الأحمد: ٢٥٠/٤، شذرات الذهب: ٢٢٣/٥.

(٢) له ترجمة في طبقات علماء الحديث: ٢٣٢/٤ - ٢٣٣، سير أعلام النبلاء: ١١٨/٢٣ - ١١٩، تذكرة الحفاظ: ١٤٤٦/٤ - ١٤٤٧، العبر للذهبي: ١٧٤/٥، الوافي بالوفيات: ٢٧٣/٧، ذيل طبقات الحنابلة: ٢٤١/٢، النجوم الزاهرة: ٣٥٣/٦، المقصد الأرشد: ١٥١/١، المنهج الأحمد: ٢٥٥/٤ - ٢٥٦، القلائد الجوهريّة: ٤٣٥/٢ - ٤٣٦، شذرات الذهب: ٢١٧/٥.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): زيادة: توفي الضياء يوم الاثنين سابع عشرين جمادى الآخرة من السنة، وهو محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، قلت: وهي زيادة من قارئ كما لا يخفى من سياق الخبر، والله أعلم.

(٤) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٢٦١/٤.

(٥) هو نجم الدين الحسن بن سالم بن سلام الكاتب، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٢هـ)، وسير أعلام النبلاء: ١١١/٢٣ - ١١٢، الوافي بالوفيات: ٢٦/١٢، ونزهة الأنام: ١٥٦ وعندهم وفاته سنة (٦٤٢هـ).

قلت: سياق ترجمته عند أبي شامة يشي بأنه توفي في شعبان سنة (٦٤٣هـ)، وقد أشار أبو شامة ص ١٥٧ من هذا الجزء أنه توفي قبل السخاوي، فلعله توفي في أوائل سنة =

الشَّمْس بن النَّفِيس في سنة اثنتي عشرة وست مئة، ودام عليه، وله إحسانٌ وخير، وصدقةٌ وتعصُّبٌ وضيافة.

وفي شهر شعبان أيضاً من سنة ثلاثٍ وأربعين وست مئة توفيت الصَّاحبة ربيعةُ خاتون^(١) ابنة نجم الدين أيوب، أخت صلاح الدين والعاذل وغيرهما من الملوك، وعمَّة الكامل والأشرف والمُعظَّم، وغيرهم من الملوك، زوجة مُظفَّر الدين صاحب إربل - رحمهم الله - ودُفِنَتْ في ثُربتها بالجبل^(٢).
وتوفي فيه أيضاً الأمير سيف الدين بن قليج^(٣)، ودفن بمدرسته التي وقَّفها بمسكنه بدار فلوس^(٤).

وفي السَّابع والعشرين من شعبان توفي الشيخ الفقيه الصَّالح علاء الدين الكُردي عمر بن أبي بكر بن جعفر، وكان جاري بالمدرسة العادلية، ودفن في مقابر ابن زوزان، حَضَرَتْ دَفنُهُ والصَّلَاةُ عليه، رحمه الله.

وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان توفي بدمشق الصَّاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حَمُوية^(٥)، وكان نائباً

= (٦٤٣هـ)، أو في أواخر سنة (٦٤٢هـ)، وهي السنة التي ذكر مترجموه أنه توفي فيها، والله أعلم. وانظر بعض أخباره في «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦٣٦هـ).

(١) لها ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، كتاب الروضتين: ٢٤٦/٣، المختصر في أخبار البشر: ١٧٤/٣، الوافي بالوفيات: ٩٧/١٤ - ٩٩، نزعة الأنام: ١٦٢ - ١٦٣، شفاء القلوب: ٢٣٠، النجوم الزاهرة: ٣٥٣/٦، المدارس: ٨٠/٢ - ٨١، القلائد الجوهريّة: ٢٣٧/١، شذرات الذهب: ٢١٨/٥، مناداة الأطلال: ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) دفنت بمدرستها المعروفة بالصَّاحبة تحت القبو كما ذكر في مصادر ترجمتها.

(٣) هو علي بن قليج، له ترجمة في مرآة الزمان (حوادث ٦٤٣هـ)، سير أعلام النبلاء: ١٤٦/٢٣، الوافي بالوفيات: ٣٩٤/٢١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٤٣هـ)، نزعة الأنام: ١٦١، النجوم الزاهرة: ٣٥٥/٦، المدارس: ٥٦٩/١، مناداة الأطلال: ١٩٥.

(٤) هي المدرسة القليجية الحنفيّة، وقد درست.

(٥) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، سير أعلام النبلاء: ١٠٠/٢٣، العبر للذهبي: =

السُّلْطَنَةُ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَهَا لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُوبَ بْنِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ، وَأَخَذَهَا مِنْ عَمِّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُوبَ؛ صَاحِبِ بَغْلَبَكَّ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِالْجَبَلِ عِنْدَ أَخِيهِ عِمَادِ الدِّينِ عَمْرِ بْنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَمَوْلِدُ^(٢) مَعِينِ الدِّينِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِئَةِ^(٢).

١٧٨

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ تَوَفَّى شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ أَبِي طَالِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْنِ الْقُضَاةِ^(٣) - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَدُفِنَ بِالْجَبَلِ، حَضَرَتْ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ. وَفِي ثَانِي شَهْرِ شَوَّالٍ تَوَفَّى الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ الْقَيْمُرِيُّ عَمَ نَاصِرِ الدِّينِ^(٤)، وَدُفِنَ بِالْجَبَلِ.

وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِسَبَبِ قَطْعِ الْخَوَارِزْمِيَةِ الطَّرِيقَاتِ؛ فَفِي ثَامِنِ عَشْرِ شَوَّالٍ بَلَغَتْ غِرَارَةُ الْقَمَحِ سِتَّ مِئَةِ دِرْهَمٍ نَاصِرِيَّةً، نِصْفَهَا ثَلَاثُ مِئَةِ دِرْهَمٍ، وَبِئِيعَ الْخُبْزُ كُلُّ رَطْلٍ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ إِلَى أَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ عَلَى قَدَرِ تَفَاوُتِ الْأَخْبَارِ، وَاللَّهُ يَكْشِفُ هَذَا الضَّرَّ بِرَحْمَتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي تَاسِعِ شَهْرِ آذَارٍ، وَبَقِيَتْ الصَّعَالِيكُ مَرْمِيِينَ بِالطَّرِيقَاتِ؛ كَانُوا يَطْلُبُونَ لِقْمَةً، ثُمَّ صَارُوا يَطْلُبُونَ لِبَانَةً، ثُمَّ صَارُوا يَطْلُبُونَ فِلْسًا يَشْتَرُونَ بِهِ نَخَالَةً يَبْلُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا كَمَا يَطْعَمُ الدَّجَاجُ؛ وَشَاهَدْتُ ذَلِكَ بَعِينِي.

= ١٧٥/٥، الوافي بالوفيات: ٢٤٦/١٢، تحفة ذوي الألباب: ١٤٩/٢ - ١٥١، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، نزهة الأنام: ١٦١، النجوم الزاهرة: ٣٥٢/٦ - ٣٥٣، شذرات الذهب: ٢١٨/٥، وقد سلفت ترجمة والده ص ٣٣٥ من الجزء الأول.

(١) ضبطت في الأصل و(ب) بالمبني للمجهول، وفي (ك) و(ع) و(س): وصلّى عليه بجامع دمشق جمال الدين بن محيي الدين بن الجوزي، قلت: وهي زيادة في النفس منها أشياء، ولم أر من ذكر ذلك فيمن ترجم له، وبخاصة سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وإخالها زيادة من قارئ، والله أعلم.

(٢ - ٢) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٣) سلفت ترجمة والده ص ٣٠١ من الجزء الأول.

(٤) سترد ترجمة ناصر الدين القيمري ص ٢٢١ من هذا الجزء.

ثم اشتدَّ الغلاء زيادةً على ذلك، فبلغ في آخر شهر شَوَّال المذكور كل غرارة حنطة بمئة دينار صورية ثم ناصرية، ثم سمعتُ أنه يَبَّع عشرة غرائر بعشرة آلاف دِزهم، وكتب بها وثيقة على المشتري إلى أجل شهرين، واشتريتُ أنا الخبز كل رطل بأربعة دراهم غيرَ مرَّة.

ثم تفاقَم الأمر في حادي عشر ذي القَعْدَة، فبيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم، وخبز الشعير كل أوقيتين ونصف بدرهم، وبلغتِ الغرارة في ثاني عشر ذي القعدة ألفاً ومئتي دِزهم وخمسين درهماً فضةً ناصرية، وبيع الدَّقِيق كل أوقية وربيع أوقية بدرهم، كل رطل بنحو عشرة دراهم. وبيع الشعير كل كيل بخمسين درهماً، الغرارة بست مئة درهم، والزَّبِيب كل أوقيتين بدرهم، ثم يَبَّع أوقية ونصف بدرهم، وكذا الدبس، وبلغت الحلاوة الجوزية من الدبس كل أوقية بدرهم، وسمعتُ مَنْ ينادي عليها وقد نزل السُّغْر بباب الجامع الغربي من باب البريد، يقول: أَرْخَصَ اللهُ أسعار المسلمين، وكل أوقية بستة عشر قرطاساً. فقال بعضُ السَّامعين: كنا نأخذها بعشرة فلوس^(١)، واليوم نفرحُ كيف وَصَلَتْ إلى ستة عشر قرطاساً!

وبيع الباقل الأَخضر كل رطل بدرهم وربيع، والرز باللبن ثلاث أواق ونصف بِدِزهم، والرُّز اليابس كل أوقية بدرهم، واللحم الرديء كل رطل بستة دراهم.

ولم تزل الأسعار في اشتدادٍ وارتفاعٍ إلى أن بيع مُدُّ الحنطة بعشرين درهماً ونحوها، وبلغتِ الغرارة ألفاً وخمس مئة درهم، وبيع الخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم، والرطل بسبعة دراهم في يوم عيد النحر وقبله.

ثم إن الله تعالى نَفَّسَ عن الناس بنزول السُّغْر من بعد عيد الأضحى، ولم يزل يأخذ في النزول إلى أن بيع الخبز آخر السنة كل رطل بدرهمين، واللحم كذلك.

(١) في النسخ الخطية ما خلا الأصل: بعشرة فلوس الوقية، بزيادة الوقية.

وفي سَلَخٍ محرَّمٍ بيع كل رطل وثلث بدرهم، وفي جمادى الآخرة رطل
ونصف بدرهم.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وست مئة

أولها يوم الجمعة، ففيه كُسِرَتِ الخوارزمية أشدَّ كسرة، وقُتِلَتِ ملوكهم،
وسُيِّتِ نساؤهم، وغُنِمَتِ أموالهم بين أرض بَغْلَبَكْ وجمص، كَسَرَهُم الملكُ
المنصور إبراهيم بن المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص، ومعه جيوشُ
حلب وحماة وغيرهما من البلاد.

وجاءنا الخبر بذلك يوم السبت ثاني الشهر إلى دمشق، فَبِيعَ الحُبْزُ كلُّ رَطْلٍ
بدرهم ونصف، والحمدُ لله على هذه النعم، ونسأله المزيد بفضله وكرمه، ثم
تُسَلِّمَتِ قلعةُ بعلبك من نواب الصَّالح إسماعيل، ثم تُسَلِّمَتِ قلعة بُضْرَى منهم.
وممن قُتِلَ في تلك المعركة بركة خان مُقَدَّم الخوارزمية^(١) وسُلْطَانِهِم،
وحُوِلَ رأسه إلى حلب.

وفي حادي عَشْرٍ صفر توفي الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد^(٢)، صاحبُ
جمص بالبلستان الأشرفي بالتيَّزب ظاهر دمشق، ونُقِلَ إلى حمص.

١٧٩

وقبله بأيام توفي الصَّائِن محمد بن حَسَّان بن رافع العامري^(٣) بقَضْرٍ

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٤هـ)، الوافي بالوفيات: ١٠/١٢١، نزهة الأنام:

١٧١ - ١٧٢، السلوك للمقرئزي: ج١/٢ق/٣٤٢، النجوم الزاهرة: ٦/٣٥٦ - ٣٥٧.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٤هـ)، وفيات الأعيان: ٢/٤٨١، المختصر في أخبار البشر:

١٧٦/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٣/٢٢١، العبر للذهبي: ٥/١٨٣، الوافي بالوفيات: ٦/٢٠ -

٢١، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٤هـ)، نزهة الأنام: ١٧١، شفاء القلوب: ٣٣١ - ٣٣٢، النجوم

الزاهرة: ٦/٣٥٦، شذرات الذهب: ٥/٢٢٩، ترويح القلوب: ٣٨.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢٣/١٤٧ - ١٤٨، العبر للذهبي: ٥/١٨٤، البداية والنهاية

(وفيات ٦٤٤هـ)، نزهة الأنام: ١٧٢، النجوم الزاهرة: ٦/٣٥٧، شذرات الذهب: ٥/٢٣٠.